البناء العلمى

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الثانى



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- وصلنا إلى حديث ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما- حيث يقول الشيخ: (عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا قَالُوا: لا. قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»).

- فهذا الحديث العظيم ذكره العلماء في تفسير سورة الحديد في الآية التي سبق قراءتها في الدس الماضي، وهي قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وهذا الفضل العظيم لمن آمن بالرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ودخل في دين الإسلام. فذكر العلماء هذا الحديث في شرح وتفسير هذه الآية الكريمة.

- وضرب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في هذا الحديث مثلًا عظيمًا لنعرف ونفهم ونقيس ونتنبه ونعتبر، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، وأمثلة القرآن وأمثلة السنَّة النبوية الصحيحة كلها حق، وكل جزء من هذه الأمثلة يُستفاد منه الفوائد والعبر والأحكام الشَّرعيَّة، يقول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

- قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ»، يعني: اليهود والنصارى.

- فالله -عزَّ وجلَّ- أرسل موسى -عليه الصلاة والسلام- إلى اليهود، وأرسل عيسى -عليه الصلاة والسلام- إلى النصارى؛ فآمن بموسى من اليهود من آمنَ، ثم دخل في دينهم التحريف والتبديل، ثم زاد ووقع فيهم الكفر والانحراف على الدين، ثم بدلوا الدين الذي أنزل عليهم، وصاروا على حالٍ لا يقبلها الله -عزَّ وجلَّ-، وهكذا النصارى، فكان أول الأمر أن الذين آمنوا بعيسى -عليه الصلاة والسلام- على التوحيد وعلى الاستقامة على ما أنزل على نبيهم، ثم حدث فيهم مثل ما حدث في اليهود، ولهذا جاء في حديث عياض بن حمار المجاشعي أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «وإِنَّ اللهَ نظر إلى أهْلِ الأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إِلَّا بقَايَا من أهْلِ الْكِتَابِ»[1]، يعني أبغضهم إلَّا أفرادًا عديدين هم الذين استقاموا على ما أنزل عليهم.

- وبعث الله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بعد فترةٍ من الرسل، وهذه الفترة حدث فيها من التحريف والتبديل ما حدث.

- ونستفيد من هذا المثال بما ذكره النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقال: «كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ».

الأجير: هو العامل بالأجرة، وهو موضَّح في الحديث.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى. ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صلة الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ»، يعني معاشر المسلمين.

- قال: «فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلاً وَأَقَلَّ عَطَاءً؟»، وهذا من الاعتراض غير المحمود، وهذا من الحسد المذموم.

- فجاء الجواب مسكتًا لهم وداحضًا لِمَا قالوه من حجَّةٍ غير مستقيمة في قوله: «قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شيئا؟ قَالُوا: لا»، يعني: هذا الأجير قيل له اعمل على قيراط، المدة نفس المدَّة.

- قوله: «قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يؤتينا وإياكم وجميع المسلمين من فضله العظيم.

---

[1] صحيح مسلم (٢٨٦٥).

- وهذا يدل على فضل الإسلام، وفضل أهل الإسلام عند الله -عزَّ وجلَّ-؛ أنهم أقل عملًا وأكثر ثوابًا.

- ولهذا فنحن نقول لكل يهودي ولكل نصراني الآن: إذا أسلمتَ واتَّبعتَ محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- آتاكَ الله أجركَ مرتين، وأعطاك الله هذه الفضائل كلها، فلك أجر الإيمان بالرسول السابق -إن كان إيمانك صحيحًا- ولك أجر الإيمان بخاتَم الأنبياء والمرسلين -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهذه دعوةٌ لكلِّ أهل الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فمن دخل في دين الإسلام أعطاه الله أجورًا مضاعفَة، ومن بقيَ منهم على اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة الآن فهو كافرٌ بالله وليس له أجرٌ وليس له ثوابٌ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فهذا الحديث العظيم فيه فضل أهل الإسلام.

- ومن فضل الله على أهل الإسلام: أن الله -عزَّ وجلَّ- أكرمهم فخفَّفَ عنهم ويسَّر لهم الدين، فالصلوات الخمس أجرها خمسون، وليلة القدر خير من ألف شهر، يعني: ثلاثة وثمانين سنة، وهكذا في بقيَّة الأعمال والأذكار والعبادات؛ يسَّرها الله -عزَّ وجلَّ- وضاعفَ لهم الأجر والثواب، فالحمد لله على هذه النِّعمَة.

❑ ننتقل للحديث الذي بعده، وهو حديث أبي هريرة، قال المؤلف: (وفيه أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَة-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا. فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وللنَّصَارَى يَوْمُ الأحدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»).

- يُبيِّن -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في هذا الحديث ما أكرمَ الله به أهل الإسلام من الهداية إلى يوم الجمعة، والله -عزَّ وجلَّ- خصَّهم بتعظيم هذا اليوم، وهو يوم عبادة للمسلمين، وهو يوم عيد أسبوعي للمسلمين، وهذا اليوم معظَّمٌ عند الله -عزَّ وجلَّ- وقد ضلَّ عنه اليهود والنصارى، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا»، يعني أن الجمعة هي التي فيها الفضل، حتى في الزمن السابق، لكن الله -عزَّ وجلَّ- جعل هذا خاصًّا بهذه الأمَّة منَّةً منه وكرمًا وفضلًا.

- واليهود صارَ لهم يوم السبت، فهم يُعظِّمونَ يوم السبت، فالعيد الأسبوعي عند اليهود يوم السبت، فيخصُّونه بالعبادة ويعظِّمونَه، ويُعطِّلونَ فيه الأعمال، وكذلك صارَ للنصارى يوم الأحد، فصاروا بعدنا، فسبق أهل الإسلام بيوم الجمعة، فسبقوا في الزَّمن؛ لأن يوم الجمعة قبل يوم السبت وقبل يوم الأحد، مع أنَّ أمَّة اليهود وأمَّة النصارى قبلنا في وجودهم، ولكن الله -عزَّ وجلَّ- أضلَّ عنهم هذا اليوم العظيم، وهو يوم الجمعة، وهذا من تكريم الله -عزَّ وجلَّ- لهذه الأمَّة ولأهل الإسلام، فأهل الإسلام هم الآخرون من جهة الزَّمن، فإذا نظرت إلى آدم -عليه الصلاة والسلام- أبو البشر ومَن جاء بعده من الأمم والخلائق؛ فآخر أمَّة وآخر ملَّة هي ملَّة النبي

محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وملَّة الإسلام، ومع ذلك فهم يوم القيامة هم أسبق الناس إلى الجنَّة، فالحمد لله على هذه النعمة، نسأل الله أن يثبتنا على الإسلام والسنة.

- قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (وفيه تعليقًا عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ)، يعني: تعليقًا في صحيح البخاري.
- قال: (أنه قال: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»)، يعني: أنَّ البخاري رواه معلَّقًا واختصره.
- وليس معنى الحديث المعلَّق أنه ليس له سند؛ بل هو له إسناد، ولكن المؤلف -كالبخاري- اختصره لحكمةٍ أو لغايةٍ، أو لأن بعض الرواة في هذا السند ليسوا على شرطه، أو لأنَّه لم يثبت عنده.
- وهذا الحديث صحيح وهو قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، فأهل الإسلام يجب أن يكونوا حنفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وكان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يعلم أمته أن يقولوا في الصباح والمساء: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[٢].
- والحنف: هو الذي ترك الشرك وأقبل على الإسلام.
- وذكر هذا المعنى لأن فيه نفيٌ وإثباتٌ، فالحنف فيه نفي وإثبات، فالحنيف هو الذي أعرض عن الشرك وتبرأ منه، وأقبل على التوحيد والإسلام وتمسَّكَ به، ولهذا قيل في تعريفه: هو المقبل على الله المعرض عمَّا سواه.
- والسَّمحة: من السَّماحة، وهي السهولة واليسر، فليس في الدين الإسلامي آصار، وليس فيه أغلال، ولا يرضى بالتشديد والتكلُّف والتَّنطُّع؛ بل حرَّمه واخبرَ أنَّ أهله هالكون، وحرَّم الغلو في الدين، فهذا الدين دينٌ سمحٌ، قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فالذي لا يستطيع لا يجب عليه الحج، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال في العاجز: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فالحمد لله، ديننا دين سماحةٍ ويسرٍ، وهذا من فضل الله -عزَّ وجلَّ.
- إذن؛ هذه صفات هذا الذين، والذي يشدد في الدين ويخرج عن الشريعة فقد خرج عن الإسلام، والذي يُكلِّف نفسَه ما لا تُطيق لم يرضَه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- رأى حبلًا

---

[٢] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٧٥)، وأحمد (١٥٣٦٣) واللفظ له.
[٣] صحيح البخاري (١١١٧).

ممدودًا في المسجد فقال: «مَنْ هَذِهِ؟». فقيل: لفلانة تصلي في الليل، فإذا فترت تعلقت به حتى لا تنام. فقال: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا»[٤].

- وقوله هنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» فيه تشجيع للمؤمن أن يلزم هذا الطريق، فإذا أردتَّ أن تتديَّن وتتعبَّد وتتقرَّب؛ فلا تتديَّن ولا تتعبَّد ولا تتقرَّب إلَّا بما جاء في هذا الدين من السماحة والسهولة، مع البراءة من الشرك والثبات على التَّوحيد.

❑ **قال المؤلف:** (عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ عَزَّ وَجَلَّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِن اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ").

- قوله: "عليكم بالسبيل والسُنة". السبيل هو: الطريق الذي كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- ورُوي عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ خَطًّا، وَخَطَّ عَنْ يَسَارِهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»[٥]، وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

- فعليكم بالسبيل، فهو طريق الإسلام، شريعة الإسلام، منهاج الإسلام، يدخل فيه الأركان الخمسة، ويدخل فيه واجبات الدين وأركان الإيمان الستَّة، ويدخل فيها كل ما أوجبه الله -عزَّ وجلَّ- وأوجبه رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فنفعله، وترك ما حرَّمَه الله وحرَّمه رسوله.

- قال: "عليكم بالسبيل والسُنة"، يعني في تعبُّدكم وتقرُّبكم إلى الله الزموا سنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، يعني: وافقوا ما فعله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في جميع عباداته، وفي جميع الدين.

- القرآن واضح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، حظَرَ السُّبل كلها، فعليكَ بسبيل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فقط، اسأل عنه وابحث عنه، ابحث واقرأ وتعلم، جاهد نفسك حتى تكون على هذا السبيل.

- قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، السُّبل هنا: الشبهات والأهواء.

---

[٤] روى البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥).

[٥] أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٧٤)، والبزار (١٨٦٥) واللفظ له.

◆ هل الشهوات تدخل في السُّبل؟

- بعض العلماء يذكر هذا، ولكن المشهور عند المفسرين أنها الشبهات؛ لأن من فعل الشهوة المحرمة وهو يدرك أنها محرَّمة فهذا يعد عاصيا، بخلاف من اتَّبعَ الشبهة فهذا يعد مبتدعًا، والمبتدع أخطر من العاصي؛ لأن العاصي مآله أن يتوب، وهو يفعل معصيته يشعر أنه مذنب، أما المبتدع الذي اتبع سبل الباطل والشبهات فإنه يرى أنها حق، ويستمر عليها -نسأل الله العافية والسلامة.

- وفي مقابل الفِرَق التي تتديَّن للبدعيَّة؛ هناك فِرَق تنحو منحا ضلال آخر وهو ضلال الانحلال من الدين كالعلمانية والليبراليَّة والحداثة، ولا يقبلون من النصوص إلا ما وافق عقولهم ويردون السُّنَّة؛ فهذه كلها من سبل الشيطان.

- فأبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ينصح المسلمين فيقول: "عليكم بالسبيل والسنَّة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسُنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار".

◆ هل هذا الأثر فيه رد على المرجئة؟.

- نعم، لابدَّ من العمل، ولا يمكن أن يكون على السبيل والسنة بقلبه فقط ويترك العمل، فالسنة والسبيل أعمال وأقوال واعتقادات، ليست فقط عقيدة في القلب دون عمل، وهذا الأثر الذي خرج في عينيه فدمعت عيناه من خشية الله ناشئ عن عمل قلبي أيضًا، وهو خشية الرب سبحانه وتعظيمه في القلب، فأعمال القلوب وأعمال الجوارح من الإيمان، وهي سبب دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فلا يكفي مجرد الاعتقاد أو القول فقط.

- قال: "وإنَّ اقتصاداً في سبيلٍ وسُنةٍ خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيلٍ وسُنة".

◆ ما معنى الاقتصاد في السنة؟ وما معنى الاجتهاد في البدعة؟

- أنَّه لو ابتدع الإنسان بدعةً وصار يعبد الله -عزَّ وجلَّ- بهذه البدعة، ويتعبَّد لله -عزَّ وجلَّ- بها، مثل أن يظن أن الصلاة عند الضريح أو عند قبر الولي الفلاني لها أجر، ويظن أن هذا يقربه إلى الله، فصار يتعمَّد ويتقصَّد أن يأتي عند أصحاب القبور فيصلي لله عندهم؛ فهذا مبتدع في الدين، فإذا دعاهم من دون الله أشرك، فلو جلس هذا يصلي الليل كله؛ فهذه بدعة، وهو ضال لا يقبل الله -عزَّ وجلَّ- منه هذا العمل، حتى لو بكى من خشية الله، ولو فعل ما فعل؛ لأنه داخل في عموم قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، يعني: مردود عليه، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأُمورِ، فإنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعةٌ، وإنَّ كلَّ بِدْعةٍ ضَلالةٌ»[٦].

- ولو قام واحد ليلة السابع والعشرين من رجب وقال: هذه ليلة الإسراء والمعراج أقوم الليل فيها.

---

[٦] سنن أبي داود (٤٠٦٧)، سنن الترمذي (٢٦٧٦) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤).

- نقول: ليس لك أجر، وعملك حابط؛ لأن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

- إذن؛ عليك بالسبيل والسنة، فلم يرد في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أن تخصص هذه الليلة بالقيام أو بأي عمل من العبادات، إذا جاء دليل صحيح ثابت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فعلى العين والرأس، وجميع المسلمين يسابقون إليه، أما أن يخترع الناس هذا الشيء فتتابعهم؛ فهذا ليس على سبيلٍ ولا سنَّةٍ.

- وفي هذا الأثر ذكرَ حالين من أحوال أهل الإيمان، وقد ذكر الله -عزَّ وجلَّ- الأحوال التي تعرض للمؤمنين، وهي أحوالٌ محمودة، فلا نتجاوزها، لأنَّ بعض الصوفيَّة وبعض المبتدعة يتجاوزون هذه الأحوال إلى أحوالٍ باطلة.

- **الأثر الأخير، قال المؤلف: (وعن أبي الدرداء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: "يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين").**

- وأبو الدرداء: هو عامر بن عويمر، من خيار الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وكان يُقرئ القرآن ويُدرِّسه.

- فكان هؤلاء الصحابة مع تدريسهم للقرآن يُعلمون الناس السُّنَّة، وهذا الذي ينبغي لكل مَن انبرى لتعليم المسلمين القرآن والسُّنَّة والسيرة والفقه أن يعلمهم الاتباع وترك الابتداع.

- قال: **"نوم الأكياس وفطرهم"**.

- الأكياس: جمعُ كيِّسٍ، والكيِّس هو العاقل الفطِن، يعني الذين انتبهوا وعرفوا الطريق الصحيح فلزموه، بخلاف المغفل الأحمق الذي يمشي من هنا ومن هنا ويتخبَّط في الدين، ويتخبَّط في أموره وحياته، أمَّا الكيس فهو عاقل، فإذا قيل له: هذا الذي يُحبه الله، وهذا هو الذي فعله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: مشى عليه. فهذا هو الذي يكون محلَّ إعجابٍ وثناءٍ.

- قال: "يا حبذا نوم..."، أبو الدرداء يمدح النوم!

- نعم؛ لأنَّ نوم هؤلاء خير من صيام أولئك الحمقى وقيامهم، ويقصد بـ "الحمقى" المبتدعة، فصيامهم مبتدَع، وقيامهم مبتدَع، وكذلك يدخل فيهم الخوارج، فهم يصومون ويقومون، ولكنهم حمقى حقيقة لأنهم ما انتفعوا بصومٍ، ولا انتفعوا بصلاة بسبب بدعة الخروج، وهكذا سائر المبتدعة.

- قال: "يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم"، كأن تصبح في يوم ليس من رمضان فتفطر، وآخر يصوم صيام بدعة، أو يصوم وهو مع الخوارج أو الروافض أو أهل البدع والأهواء، ويتقرب إلى الله بتلك البدع؛ فأيهما أفضل؟

- صاحب السنة الذي نام الليل وحافظ على الفرائض وصاحب السنة الذي أفطر في النهار؛ فهذا أحب إلى الله، وهذا هو محل الإعجاب، بخلاف الأحمق الذي خالف السنَّة وابتدع في الدين، فحتى لو سهر بالقيام

وصام بكثرة الصيام فإنه لا ينتفع بهذا مهما فعل، لأنه على حماقة، وهي مخالفة السنة النبوية، فيا بئس هذا الحال!

- ثم قال -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "**ولمثقال ذرة من بر مع تقوى ويقين، أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين**".
- فالشيء اليسير من الصدقة مع اليقين والسنة والاتباع أفضل من عبادة المغترين، كأن ينفق واحدٌ الملايين في بدعة المولد وهذا يُنفق شيء يسير تمرة أو نصف تمرة في إطعام مسكين متَّبع لسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.
- وهذه المعاني كلها تدل على وجوب التَّمسُّك بالسُّنَّة، وأنَّ هذا الدين دين يسر، وأنَّ البدع ليست من اليسر، وهذا من فضل الإسلام ولله الحمد، فإذا وفَّقكَ الله للعبادة المشروعة على السنَّة النبوية وتزودتَّ منها فالحمد لله، وأهم شيء في هذا الدين أن تسلم من البدع، وأن تترك البدع وتبتعد عنها.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

